حل سياسي للمشكلة الكُردية. عدا هذا كان بارزاني لا يرى أفقاً في التعاون مع البعثيين[١٢٧].

في السياق ذاته، كانت تخوفاته وشكوكه من نوايا البعثيين العراقيين في محلها. إذ لم تمض سوى أشهر عدة حتى تعرض نجله إدريس، في منتصف كانون الأول ١٩٧٠، الى محاولة إغتيال في العاصمة العراقية في الوقت الذي كان والده أوفده لتهنئة الرئيس السابق أحمد حسن البكر بعيد الأضحى. وفي أيلول من العام نفسه، رفضت بغداد عرضاً قدمته الأمم المتحدة لتنفيذ مشاريع إنمائية في كُردستان العراق بقيمة مائة مليون دولار أميركي[١٢٨].

لم تأت ردود بارزاني على هذه الممارسات العراقية على شكل عنفي. فإضافة الى قناعته بقدرة السياسة على حل المشكلات العويصة، كان في طبعه الشخصي رجلاً كارهاً لسفك الدماء وإيذاء أعدائه على رغم قيادته لإنتفاضات دموية عدة طوال نصف قرن وإشتهاره بالجرأة والحنكة العسكرية وطول الصبر.

وللدلالة على هذا، يروي أحد مرافقيه أن بارزاني أراد إجتياز ممر جبلي كانت تحرسه وحدة عسكرية عراقية. وكان المنطق يفرض عليه أن يهاجم الوحدة بغتة لشق طريقه عبر الممر. لكنه فضّل إرسال رسول الى قائد الوحدة يطلب منه تخلية الممر لحين مرور قواته. وحين رفض القائد طلبه، أضطر الى محاصرة الوحدة وتهديدها بالهجوم إذا لم تنفذ إنسحاباً موقتاً لفسح الطريق أمام قواته للعبور. وكان مساعدوه يلحون عليه أن الفرصة مهيأة للهجوم على أفراد الوحدة وإبادتهم وغنم أسلحتهم.

في حادث آخر يروي الكاتب والصحافي الأميركي جوناثان راندل أن بارزاني أصيب بحالة من الغضب والألم حين وصلته معلومات مفادها أن قواته استطاعت قتل أكثر من ثلاثة آلاف عسكري عراقي خلال ليلة واحدة في هجوم على مواقع عسكرية عراقية في جبل هندرين. ويشير راندل الى ان

(١٢٧) مقابلة مع الدكتور محمود عثمان في لندن في ١٠ نيسان ٢٠٠١.

(١٢٨) On the Kurdish Question at the United Nations, Published by the Information Department of the Kurdistan Democratic Party, Vol. 2, June 1974, p35.

بارزاني استكثر العدد وقال إن مثل هذا العدد الكبير من الضحايا بين القوات العراقية قد يقطع عليه طريق حل المشكلة الكُردية سلمياً[١٢٩].

لكن مع هذا، كانت الحركة القومية الكُردية تواجه في تلك الفترة مفترق طريق صعب. فبغداد تلحُّ على سياساتها وتواصل عدم الإذعان لحل الخلافات سلمياً مع الكُرد. في الوقت عينه لاتني موسكو عن توسيع رقعة تحالفها الإقتصادي والعسكري والسياسي مع بغداد، بعد أن مهّدت الحكومة العراقية الطريق أمامها لتحقيق حلم القياصرة: الوصول الى المياه الدافئة في الخليج عبر العراق. وكانت الإشارة الأوضح في هذا الخصوص توقيع إتفاقية التعاون والصداقة التي ضمت بنوداً عسكرية في التاسع من نيسان عام ١٩٧٢.

في خضم هذه التعقيدات، أضطر بارزاني الى البحث عن تحالفات جديدة تضمن له حماية الكُرد من الهجمة البعثية-السوڤياتية المرتقبة. وكانت إيران والولايات المتحدة أهم حليفتين تطلع إليهما من خلال تفاقم إحتمالات تجدد القتال. وعلى رغم ما يؤخذ على سياسته التحالفية، في هذا المقطع الزمني، إلا أن فداحة الثقل الواقع على صدر الحركة الكُردية في تلك الفترة، وتعقيدات السمات الجيوسياسية لكُردستان، لم يدعا أمامه، على ما يبدو، غير الخيار الإيراني والاميركي[١٣٠].

والواقع أن إيران بدأت تبدي مواقف أكثر ليونة مع الكُرد العراقيين. وكانت بغداد في تلك الفترة تعزز تعاونها مع موسكو، بما في ذلك التوقيع على معاهدة الصداقة والتعاون في ١٩٧٢، والإعتراف بألمانيا الديموقراطية (الشرقية) المنحلة، وتأميم النفط عام ١٩٧٣، وأخيراً إقامة جبهة سياسية مع الحزب الشيوعي العراقي.

(١٢٩) راندل، المصدر نفسه.

(١٣٠) ينقل راندل عن أحمد چلبي في مقابلة أجراها معه في ١٠ آب ١٩٩٦ في لندن أن بارزاني إستطاع في تشرين الثاني ١٩٧١ إقامة علاقة مع المسؤول السياسي في السفارة الأميركية في بيروت توماس كارولان. لكن واشنطن شددت على وجوب أن يقتصر دور كارولان في هذه العلاقة على الإستماع الى ما يقوله الكُرد وعدم تقديم النصح اليهم، وبالطبع عدم تقديم أي وعود بمساعدتهم. هامش ٧، الفصل الخامس، صفحة ٤٢٨.

كانت الخلافات العراقية الإيرانية في تلك الأثناء تشهد مزيداً من التدهور، خاصة بعد فرض إيران سيطرتها على الجزر الخليجية الثلاث، طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى، نهاية تشرين الثاني ١٩٧١، وحصول مصادمات عسكرية بين المخافر الحدودية للدولتين وإنقطاع علاقاتهما الديبلوماسية.

في مقابل تلك التطورات، فاتح شاه إيران الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون ومستشار أمنه القومي هنري كيسنجر، عند زيارتهما طهران في نهاية أيار ١٩٧٢، بإستقبال وفد كُردي في واشنطن. وبالفعل استقبل الاميركيون في حزيران من العام نفسه وفداً رأسه نجله إدريس.

في مطلع آذار ١٩٧٤، وصلت التوترات بين بغداد والحركة الكُردية درجة الإشتعال، خصوصاً بعد أن أخذت بغداد تتجه الى إعلان مشروعها المنفرد لحكم ذاتي يتعارض في مفاصله الأساسية مع بنود إتفاقية ١١ آذار. والواقع أن بارزاني حاول، في هذه الفترة، إقناع بغداد بالتخلي عن قرارها إعلان المشروع من طرف واحد. وأوفد لهذا الغرض إدريس الى بغداد للإجتماع بصدام حسين وإقناعه بضرورة إستئناف المحادثات السلمية وتأجيل إعلان الحكم الذاتي عاماً واحداً. لكن بغداد التي حظيت بدعم موسكو ظلّت مصرة على موقفها، ما أدى الى أن يتجدد القتال في كُردستان العراق في مطلع نيسان من عام ١٩٧٤، أي بعد أسبوعين من مهلة أعلنتها بغداد لموافقة الحزب الديموقراطي الكُردستاني على مشروعها من دون نقاش.

لم يرق الإعلان الحكومي لا لبارزاني وحزبه، ولا للقسم الأعظم من الأهلين الكُرد الذين إعترتهم حالة رهيبة من الخوف من نوايا السلطات المركزية العراقية. لهذا إلتحقت أعداد كبيرة من المدنيين بالمقاتلين في الجبال. وفي هذا الإطار يذكر ماكداول أن القوات الكُردية التي إلتفت حول زعامة بارزاني في بداية ذلك العام، بلغ عددها أربعين ألف مقاتل مع ستين ألفاً آخرين قوات إحتياط. وضمّ هذا العدد، الضخم في حجمه بالنسبة الى حركة تحرر قومية في الشرق الأوسط، ستين طبيباً وأربعة آلاف وخمسمائة معلم ومدرس، وخمسة آلاف رجل شرطة، ومائة وستين مهندساً ومائة ضابط عسكري[١٣١]، إضافة

(١٣١) ماكداول، المصدر نفسه، صفحة ٩٧.

الى عدد كبير من اساتذة الجامعات والأكاديميين ونحو مائة أديب وصحافي.

وكان بارزاني بتكوينه القائم على تراث من التسامح والعقلانية، يرى أن الحركة الكُردية نسيج واسع يمكن للجميع أن يشاركوا فيه. لهذا ضمّ هذا العدد الهائل خليطاً من الكُرد والتركمان والآثوريين، بل وحتى ضباط ومراتب عسكرية ومدنية عرب[١٣٢].

في هذا الخصوص، يقول الصحافي الفرنسي رينيه موريس إن المسيحيين كانوا في مقدم القطاعات السكانية التي شاركت في إنتفاضة أيلول. ويضيف أن في وسعه، بعد زيارته كُردستان في ١٩٦٦ ولقائه بمسيحيين، أن يقدم شهادة رسمية بعدم وجود أي مشكلة للمسيحيين في كُردستان، وأن إنبعاث قضيتهم كان بفضل مشاركتهم التامة في الإنتفاضة الكُردية تحت أمرة مصطفى بارزاني[١٣٣].

إنفجر القتال في مطلع نيسان ١٩٧٤ بضراوة شديدة. وكان للدعم السوفياتي دور غير قليل في تفاقم الضغوط العسكرية على بارزاني، ما جعله في حاجة فعلية وملحة الى دعم عسكري إيراني، خصوصاً في ميدان الأسلحة الدفاعية كأنظمة الدفاع الجوي.

وعلى رغم أن هذه السياسة التحالفية مع إيران لم تخلُ من أخطاء وعثرات، إلا أن اللافت أن القسم الأعظم من الكُرد، بمن فيهم من إنتقدوا بارزاني لاحقاً على سياسته هذه، لم يعترضوا على الدور الإيراني في حينه، بل أيّدوه ورأوا أن لا خيار أمامهم سوى التوجه الى إيران لموازنة الهجمة البعثية المدعومة

(١٣٢) في هذا الصدد، يذكر عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي، السكرتير العام للحزب الشيوعي الكُردستاني كريم أحمد في كلمته في الذكرى التسعينية لميلاد بارزاني في ١٩٩٣، أن موقف الأخير كان مختلفاً في عام ١٩٦٣ من موقف أكثرية أعضاء المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكُردستاني حين أضطر الشيوعيون للإلتحاق بجبال كُردستان العراق هرباً من بطش البعثيين. ويؤكد أحمد أن بارزاني رحب بهم، لكن أكثرية أعضاء المكتب السياسي رفضوا ذلك، ودعوا في بيان أصدروه ضد الشيوعيين، الى إبادتهم. وإذ يثني المسؤول الشيوعي على موقف بارزاني، فإنه يصف موقف أعضاء المكتب السياسي بأنه لم يختلف عن موقف البعثيين الذين دعوا الى إبادة الشيوعيين.

(١٣٣) رينيه موريس: المصدر نفسه، صفحة ١٠٠

سوفيتياً.

لكن اللعبة السياسية في الشرق الأوسط، في ظل شروط الحرب الباردة، كانت في حقيقتها أكبر من طاقة الكُرد وأوسع في تعقيداتها من الهامش السياسي الضيق المتوفر أمامهم. لهذا ما أن وجدت بغداد أن المواجهات العسكرية لن تفلح في القضاء على إنتفاضة بارزاني، حتى بادرت الى إعطاء إشارات مفادها الإستعداد للخروج عن الطوق السوفياتي والتنازل أمام المطالب الإيرانية في الحدود والمياه. وكانت الولايات المتحدة في هذه الفترة في حاجة الى ورقة العراق في معالجة القضايا العالقة في ملف الصراعات العربية الإسرائيلية خصوصاً على مسارها السوري. فالعراق في حال إصطفافه مع إيران بعيداً عن دمشق، سيخفف الضغط المحتمل على إسرائيل في جبهتها السورية.

لهذا لم يتردد شاه إيران في توقيع إتفاقية ٦ آذار مع صدام حسين في مؤتمر قمة منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) في الجزائر في ١٩٧٥. كما أن واشنطن لم تتردد بدورها في تأييد الإتفاق والتخلي عن كُرد العراق في مرحلة من أعقد مراحل حياتهم القومية وأصعبها.

بعد توقيع الإتفاقية مباشرة، زار بارزاني طهران وإلتقى شاه إيران بعد عودته من الجزائر في الثاني عشر من آذار. والأرجح أنه فهم بعد هذا اللقاء أن إيران قررت بالفعل وقف دعمها للحركة الكُردية، وأن الولايات المتحدة غير معترضة على هذه الخطوة الإيرانية. وبالفعل كان الشاه لمّح الى بارزاني بموافقة الدول الصديقة، ويقصد بها الولايات المتحدة، على إتفاقه مع بغداد، ومتحمسة لرؤية تعاون إيراني عراقي وثيق في مختلف المجالات(١٣٤).

في السياق نفسه، يؤكد الضابط الإيراني المختص بالشأن الكُردي عيسى بزمان أن الشاه أكد لبارزاني عند إجتماعهما بعد إعلان إتفاقية ٦ آذار أن هذه الإتفاقية لاتضع حداً للخلافات العراقية الإيرانية فحسب، إنما تؤشر الى بدء طهران وبغداد التعاون المشترك من أجل إستقرار المنطقة. ويضيف بزمان أنه إتضح من كلام الشاه أنه مستعد للتعاون مع بغداد من أجل تطويق الحركة

(١٣٤) بزمان، عيسى: أسرار عقد إتفاقية الجزائر ١٩٧٥.

الكُردية في العراق في حال عدم وقفها القتال ضد الحكومة العراقية.

من هنا، وجد بارزاني أن حماية الشعب الكُردي من تكالب عسكري وسياسي إقليمي ودولي مقبل، يتطلب منه جرأة في إتخاذ قرار سياسي يحمي الكُرد من تعاون إقليمي مدعوم من الولايات المتحدة. لهذا قرر وقف إنتفاضته. وتوحي روايات مقربيه أنه كان مدركاً لتعرضه الى إنتقادات ممن لن يفهموا موقفه المسؤول. لكنه في الوقت نفسه، كان مقتنعاً بأن قراره ليس سوى حالة من التنحي جانباً من أجل تجنب عاصفة مدمرة مقبلة قد تقتلع شعبه من الجذور.

أشار فرنسو حريري، في حديث مع كاتب هذه السطور، الى أن بارزاني صارحه بعد النكسة بأيام وبعد عودته من طهران، بأن شهر العسل القائم بين بغداد وطهران، في ظل إتفاقية ٦ آذار لن يدوم، وأن على المقاتلين الكُرد أن يُبدوا صبراً لمدة ستة اشهر أو سنة حتى تستقر الأمور وتتوضح الرؤية، مؤكداً أن قرار الإنسحاب لايعني فقدان الأمل، لأن الإنسحاب سيحفظ مصير شعب كُردستان برمته. وأنه لايريد تعريض شعبه الى الإبادة كما حدث في أواخر الستينات لشعب بيافرا(١٣٥).

والحقيقة أن أطرافاً كثيرة إعتقدت بعد نكسة آذار في ١٩٧٥، أن تطلعات الكُرد الى التمتع بحقوقهم الذاتية أصيبت بضربة قاتلة، وأن الإتفاق العراقي-الإيراني أغلق كلّ الأبواب أمامهم لإطلاق حركة مسلحة جديدة للمطالبة بحقوقهم. وكانت الحكومة العراقية في مقدم تلك الأطراف. لهذا رفضت بغداد برقية من المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكُردستاني في ١٦ آذار، أي بعد عشرة أيام من توقيع إتفاقية الجزائر، لإستئناف المفاوضات السلمية بين الطرفين. كما إنها شرعت في تنفيذ إحدى أفظع حملاتها المنظمة لتدمير المجتمع الكُردي وتفتيت بنيانه الإقتصادي وخصائصه الذاتية. وكان تدمير قرى كُردستان الحدودية مع إيران وتركيا بعمق عشرين كيلومتراً، وتعريب المناطق الكُردية الإقتصادية الغنية بالنفط والثروات الزراعية في أطراف كركوك وأربيل ودهوك، إضافة الى ترحيل القرويين الى معسكرات

(١٣٥) محادثة مع الكاتب في أربيل ١٨ آب ٢٠٠١.

قسرية أقيمت قرب المدن الكبيرة الواقعة تحت سيطرة الحكومة المركزية جزءً من تلك الحملة المنظمة.

ولا أدل على بشاعة الحملة من التذكير، مثلاً، بإحدى إجراءاتها الثقافية التي تمثلت في تعليمات صارمة أصدرتها السلطات العراقية منعت بموجبها الأدباء والكتّاب والصحافيين الكُرد من إستخدام كلمات معينة في نتاجاتهم وأعمالهم، بينها (الحرية، النضال، التاريخ، البندقية، الخنجر، المستقبل الزاهر، الشمس) وعدد كبير من الكلمات الأخرى ذات إيحاءات كبيرة في حياتهم. والأرجح أن السلطات العراقية حاولت عن طريق هذا الإجراء محو أي إشارة الى التطلع القومي في الذهن الكُردي.

وسط هذه الأجواء، لم يوجّه بارزاني الذي كان تجاوز السبعين من عمره، جهوده الى توجيه اللوم الى المسؤولين الأميركيين لتخليهم عن حركته. إنما خصص، الى جانب تحميله الجانب الأميركي جزءً من مسؤولية ما حدث، جهداً كبيراً من طاقته في إتجاه درء المخاطر المستقبلية عن الحركة القومية الكُردية. وكان معروفاً عن بارزاني دأبه منقطع النظير على تحويل أجواء الإنتكاسات التي تصيب حركاته الى نقطة جديدة لإنطلاق قومي كُردي.

من هنا، يروي كثيرون، ومنهم مساعده محسن دزهيى، أن توجيهات بارزاني وتوصياته لعبتا دوراً كبيراً في سرعة إعادة السخونة الى أوصال الحزب الديموقراطي الكُردستاني وحركة المقاومة الكُردية. لكن، مع هذا، لم تسمح أحكام العمر له بمواصلة العمل، إذ بعد أقل من ثلاثة أعوام على نكسة آذار ١٩٧٥، خلد بارزاني الذي يصفه الكُرد عند ذكر إسمه بـ(الخالد) الى الراحة الأبدية في إحدى المستشفيات الأميركية في فلوريدا.

الفصل الثالث

إدريس بارزاني – النشأة والبدايات

طفولة الكهف والمنفى

ولد إدريس في فترة عصيبة ومعقدة من مقاطع التاريخ الكُردي المعاصر. فعلى الصعيد العالمي كانت الحرب الثانية على وشك أن تضع أوزارها بإنتصار دول الحلفاء وهزيمة دول المحور، ما فتح، مع مطلع أربعينات القرن الماضي، آفاقاً جديدة وواسعة أمام دفق جديد من أفكار التحرر القومي والوطني في الشرق.

هذا في حين كان العراق عرضة لهزات داخلية غير قليلة نتيجة علاقاته التحالفية مع بريطانيا من جهة، وإتساع أحزاب المعارضة وتعمق النقمة الإقتصادية والسياسية في البلاد من جهة ثانية، خصوصاً بعد إعلان بغداد دخولها الحرب الى جانب بريطانيا. والواقع أن بروز حركة مايس التي قادها ضباط وسياسيون قوميون عرب بينهم يونس سبعاوي وصلاح الدين صباغ، ومن ثم المواجهة الحربية التي جرت بينها وبين طائرات القوة الجوية الملكية البريطانية، في أيار ١٩٤١، كان في حد ذاته أحد المظاهر المباشرة لتلك الهزات.

أما على صعيد المنطقة الكُردية، فإن تزايد النشاط السياسي والثقافي الكُردي ونشوء جمعيات قومية في بغداد والسليمانية وأربيل، ومن ثم إندلاع إنتفاضة ١٩٤٣، أشّر الى بداية مرحلة سياسية جديدة في الحركة القومية الكُردية.

وما زاد من بريق تلك البداية أن قصة النفي الطويل التي عاشها البارزانيون منذ ١٩٣٤ تحولت في تلك الأعوام الى مصدر رئيسي لتغذية الذهن السياسي الكُردي بوعي قومي متزايد، خصوصاً بعد أن أجبرت إنتفاضة ١٩٤٣ حكومة بغداد على الدخول في محادثات سياسية معها.

قبل أسابيع قليلة من ولادة إدريس، أضطرت السلطات الحكومية التي نفت وسجنت العشيرة البارزانية وشيوخها، بمن فيهم عائلة إدريس، لأكثر من عشر سنوات، الى الإفراج عنهم. وعلى رغم أن قرار الإفراج جاء تلبية حكومية لأحد المطالب الثانوية لزعيم الإنتفاضة، مصطفى بارزاني، إلا أنه في الحقيقة

كان تعبيراً عن رضوخ حكومي أمام تصاعد وتيرة الدعوة الشعبية، الكُردية والعربية في العراق، الى الإفراج عن البارزانيين.

في ظلّ هذه الأوضاع، وفي كهف جبلي قريب من قرية بارزان، ولد إدريس في اليوم الرابع من آذار عام ١٩٤٤. وكانت عائلته تعيش، عندذاك، مع بقية العوائل البارزانية في الجبال المحيطة بقرى بارزان، تجنباً لقصف الطائرات البريطانية والعراقية ضد مواقع المقاتلين والقرى الآهلة بالسكان في المنطقة.

قضى إدريس العام الأول من طفولته وسط صخور الكهوف ورصاص الإنتفاضة، خصوصاً بعد تجدد القتال في كُردستان في ١٩٤٥ إثر تراجع الحكومة العراقية عن محادثاتها السياسية مع بارزاني. لكن بعد نحو عام على تجدد القتال الذي أحرز فيه المقاتلون الكُرد إنتصارات عسكرية لافتة، أضطر والده، في الحادي عشر من تشرين الأول من العام نفسه، الى وقف إنتفاضته المسلحة وسحب مقاتليه الى داخل كُردستان إيران.

بعد قرار الإنسحاب، إنتقل المقاتلون والعوائل البارزانية في مسيرة شاقة الى الجبال الحدودية. ويؤكد الكاتب الكُردي كريم زند الذي كان على إتصال مع البارزانيين في تلك الفترة، أن ١٥٠ بارزانياً توفوا في الطريق الى إيران نتيجة الجو القارس في الجبال الحدودية[١٣٦].

بعد ذلك، إنتقل المقاتلون، ومعهم عوائلهم، الى أطراف قصبة شنو (أشنويه). وكان الزعيم الديني للعشيرة، الشيخ أحمد، وأنجال بارزاني وأفراد عائلاتهم ضمن تلك المسيرة الراجلة.

والواقع، أن قصة إنتقال المقاتلين مع عوائلهم الى الجانب الإيراني من الحدود بدت في حد ذاتها رواية أسطورية باعثة على الإعجاب والتقدير لدى الكُرد. وكان التاريخ الحافل للبارزانيين أضفى هالة من القدسية على نظرة الكُرد تجاههم، واعتبار نضالاتهم بمثابة المفتاح الرئيسي لحل المشكلة الكُردية.

بعد إنتقاله الى إيران ومكوثه فترة قصيرة في قصبة شنو وجبالها، توجه بارزاني مع مقاتليه وعوائلهم الى مدينة مهاباد التي عاشت في ظل سنوات

(١٣٦) زند، كريم: المؤتمر الذكرى التسعين لميلاد البارزاني الخالد، مطبعة خبات، دهوك، كُردستان ١٩٩٧، صفحة ٨١١ .

الحرب العالمية الثانية فترة إنبعاث سياسي لافت. وكان الحزب الديموقراطي الكُردستاني الإيراني قد تأسس لتوه في تلك الفترة على أنقاض منظمة (ژ.ك) التي كان الزعيم الكُردي قد إتصل بها قبل إنتقاله الى مهاباد وأقام معها علاقات طيبة.

وفي مهاباد التي وصفها السفيران الأميركيان، المستشرقان، ويليام إيگلتن وآرتشي روزفلت بأنها تشبه خلية نحل ناشطة، إستقبلت هيئة قيادية من الحزب الديموقراطي الكُردستاني الإيراني[١٣٧] الوافدين الجدد بعمائمهم الحمراء وبنادقم الطويلة وبسالتهم الأسطورية.

إستقر بارزاني مع عائلته في منزل كبير في غرب المدينة خصصته له قيادة الحزب الديموقراطي. وسرعان ما تحول المنزل الى منتدى سياسي كبير، خصوصاً أن الروابط التي جمعت النزيل الجديد مع زعيم الحزب، رئيس جمهورية مهاباد لاحقاً، قاضي محمد، كانت قوية ومتينة. وقد شهد المنزل في الفترة التي سبقت تأسيس جمهورية مهاباد، عشرات الإجتماعات السياسية والعسكرية. كما إنه كان الحاضن الذي ولدت بين جدرانه فكرة تأسيس حزب عصري لكُرد العراق على غرار الحزب الديموقراطي الكُردستاني الإيراني.

عاش إدريس في أحضان مهاباد نحو عام. وشهد في سنواته الأولى الدور العسكري الكبير الذي إضطلع به والده وأقرباؤه وأبناء عشيرته في تأسيس الجمهورية والدفاع عنها. وكان كثير التردد، في الوقت نفسه، على منزل عمّه الكبير الشيخ أحمد.

وعلى رغم أنه كان صغيراً على استيعاب ما يجري حوله، إلا أن العلاقات الدافئة التي رعى بها بارزاني أفراد عائلته وعشيرته، حتى في أوقات إنشغاله بأعباء العمل السياسي والعسكري، جعلت الطفل الصغير على مقربة من أحداث وتطورات سياسية كبيرة عكست، في ما بعد، تأثيراً عميقاً لا على شخصيته فحسب، بل على الحركة القومية الكُردية برمتها.

لكن المشكلة أن جمهورية مهاباد لم تعش طويلاً، إذ إنهارت بعد أقل من عام على قيامها نتيجة خيانة عدد من رؤساء العشائر من ناحية، وتخلي

(١٣٧) گاداني، جليل: مؤتمر الذكرى التسعين...، صفحة ٣٩.

الإتحاد السوفياتي عن دعمها إثر إتفاق موسكو مع طهران على شراكة نفطية من ناحية أخرى. هذا إضافة الى التهديد العسكري الكاسح الذي وجهته القوات الإيرانية بإكتساح المدينة في حال عدم إستسلامها. وكانت جمهورية آذربيجان الديموقراطية في تبريز، شمال مهاباد، إنهارت، من دون أي مقاومة، قبل إنهيار الجمهورية الكُردية بأيام.

وعلى رغم أن بارزاني حاول جهده وقف تفتت الجمهورية، وبثّ روح المقاومة في أوصالها الممزقة، إلا أن الإنهيار كان كبيراً، خصوصاً بعد قرار قاضي محمد تسليم نفسه للقوات الحكومية حفاظاً على أرواح وممتلكات المدنيين من مكروه الجيش الإيراني.

أشار فرنسو حريري[١٣٨] الى أن بارزاني لم يعتريه اليأس بعد إنهيار الجمهورية، إنما على العكس حاول الإتصال برؤساء عشائر كُرد إيرانيين، في مقدمهم الشيخ القادري عبدالله گيلاني. وكان الهدف من إتصاله هذا إقناعهم بالتعاون من أجل إعلان جمهورية جديدة على أنقاض الجمهورية المنهارة في المناطق التي كانت لاتزال تحت سيطرة البارزانيين.

لكن الهجمة العسكرية الإيرانية كانت كبيرة. وإعدام قادة الجمهورية في ٤ نيسان ١٩٤٧، كان لايزال طريّاً في الأذهان. والأرجح أن رؤساء العشائر تجنبوا بفعل هذين السببين إبداء أي إستعداد للتعاون مع بارزاني في سبيل إدامة المقاومة. وهذا ما إضطره الى الإنسحاب الى الجبال القريبة من الحدود العراقية.

والواقع أن طهران، التي أرادت إطفاء كل بؤرة كُردية قابلة للإنفجار، أدركت من جانبها خطورة بقاء البارزانيين في كُردستان إيران مع إحتفاظهم بالأسلحة. لذلك إتصلت ببارزاني ودعته الى العاصمة وتحدثت اليه بهدف ثنيه عن المقاومة والقبول بإلقاء السلاح والإستقرار في مناطق تحددها الدولة الإيرانية له ولبقية العوائل والمقاتلين.

لكن الزعيم الكُردي لم يأتمن جانب إيران، ولم يرضخ لإقتراحاتها، مفضّلاً الإنسحاب الى الجبال على الإستقرار تحت قبضة الحكومة الإيرانية. وكانت

(١٣٨) محادثة مع كاتب هذه السطور في أربيل في ١٨ آب ٢٠٠٠.

ذكريات قتل الزعيم الكُردي إسماعيل آغا شكاك في ١٩٣٣ عن طريق مؤامرة إستدراج من النوع نفسه، وشنق قاضي محمد بعد إستسلامه لطهران، بعضاً من أسباب عدم ثقة بارزاني بالحكومة الإيرانية.

كان إدريس، وهو لايزال في الثالثة من عمره، مع شقيقه مسعود، الاصغر منه بعامين، ضمن جموع البارزانيين المنسحبين الى المناطق الحدودية. لكن مع إقتراب الشتاء، لم يعد من الممكن للعوائل والأطفال والنساء والشيوخ أن يظلوا في عراء الجبال، خصوصاً أن بغداد وطهران، ومعهما أنقرة، أخذتا تنسقان من أجل فرض طوق عسكري على البارزانيين في المناطق الحدودية والقضاء عليهم.

اعتبر بارزاني أن مواصلة القتال ضمن تلك الشروط إنتحار ذاتي قد لايسفر في النهاية سوى عن إندحار عسكري وسياسي للحركة القومية الكُردية برمتها. لهذا تشاور مع شقيقه الأكبر الشيخ أحمد، ومساعديه، وقرر على ضوء تلك المشاورات أن تعود العوائل والنساء والعاجزون الى العراق، على أن يظل معه المقاتلون القادرون على تحمل الصعاب والمقاومة وظروف الشتاء القارص، للمسير نحو الإتحاد السوفياتي (السابق) طلباً للجوء السياسي[١٣٩].

كان أفراد عائلة بارزاني بين من عادوا الى العراق مع الشيخ أحمد عبر بوابة (كيله شين) الحدودية. لكن السلطات العراقية التي إنتظرت عودتهم سرعان ما اعتقلتهم بعد دخول الحدود مباشرة ونفتهم الى مدينة الموصل. أما الشيخ أحمد وعائلة مصطفى بارزاني وأنجاله، بمن فيهم إدريس، فقد أودعتهم في السجن. وعلى رغم أن الحكومة أرادت من خطوتها هذه تقييد نشاط شيوخ بارزان ومنع تأثيرهم السياسي على مسارات الحركة القومية الكُردية، إلا أن زجّ الشيخ أحمد وعائلة بارزاني في السجن، تحوّل على مرّ السنين الى مصدر أساسي لشحذ الوعي القومي بين مختلف القطاعات السكانية الكُردية.

(١٣٩) يذكر الدكتور كمال مظهر أحمد في الهامش السادس من كتاب فؤاد عارف أن الإحصاء الرسمي العراقي ثبت أن العائدين كانوا ١٥٥٠ رجلاً و١٦٨٦ إمرأة و١٣٢٩ طفلاً. صفحة ١٥٨.

في هذه الفترة، أخذ بارزاني يشق مع خمسمائة من مقاتليه الطريق نحو الحدود السوفياتية وسط مواجهة عنيفة ومعقدة مع الطائرات والقوات التركية والإيرانية والعراقية. ويصف مؤرخون ومهتمون بالشأن الكُردي هذه المسيرة في ١٩٤٧ بأنها المسيرة المذهلة التي اثبت خلالها البارزانيون كونهم عشيرة شديدة المراس وقادرة على حمل أعباء مقاومة قومية صعبة وفادحة الأثمان.

ظلت العوائل البارزانية تتنقل في منافي الوسط والجنوب. إذ بعد مكوث أفرادها في الموصل نقلتهم الحكومة في عام ١٩٥٢ الى البصرة. وفي هذه المدينة الجنوبية الغنية بحياتها التعليمية والثقافية، دخل إدريس المدرسة الإبتدائية عندما بلغ السادسة من عمره[١٤٠]. وبعد عامين، أي في ١٩٥٤، عادت الحكومة ونقلتهم ثانية الى الموصل، حيث إستأنف إدريس دراسته الإبتدائية هناك على رغم صعوبة الأحوال المعيشية التي عاشتها عائلته في تلك الأثناء. وفي ١٩٥٦ نقلتهم السلطات الحكومية الى بغداد حيث أطلقت سراح عمه واشقائه وأفراد عائلته من السجن، لكنها فرضت عليهم جميعاً الإقامة الجبرية في منزل بمنطقة رأس الحواش، شارع الضباط، بالأعظمية.

عاش إدريس في العاصمة، في منزل عمّه الشيخ أحمد، مواصلاً دراسته الإبتدائية، ومن ثم دراسته الثانوية بعد إنتسابه الى المتوسطة الغربية في الأعظمية. وكان أحد ألمع تلاميذها، ومعروفاً بمطالعاته وذكائه ولباقته في الكلام، وكان موضع إحترام مدرسيه[١٤١]. ويروي شقيقه مسعود بارزاني الذي درس في المدرسة نفسها أنه كان متفوقاً في الدروس الأدبية والانسانية الى درجة لفتت إنتباه أعضاء الهيئة التدريسية[١٤٢].

تموز ١٩٥٨ وإنتفاضة ١٩٦١

شهدت الحركة القومية الكُردية في العراق في الفترة بين عامي ١٩٥٦ و١٩٥٨ فترة إزدهار نسبي. لكن مع هذا، لم تستطع أن تخرج، في غياب

(١٤٠) مقابلة شخصية مع مسعود بارزاني في ١٢ آب ٢٠٠٠.
(١٤١) مقابلة مع شمس الدين مفتي في ٩ نيسان ٢٠٠١. إتفق الدكتور محمود عثمان مع مفتي في تقويمه لشخصية إدريس. مقابلة في ١٠ نيسان ٢٠٠١.
(١٤٢) المقابلة نفسها مع مسعود بارزاني.

رئيسها، عن معطف جماعات المعارضة العراقية التي كانت تتنازعها قوى اليسار واليمين. واللافت أن أهم ملمح في هذا الصدد تجسد في تعمق الصراعات الداخلية بين الشرائح المدينية في الحزب، خصوصاً بين تياري اليسار الشيوعي بقيادة السكرتير العام حمزة عبدالله، والقومي اليساري بقيادة عضوي المكتب السياسي إبراهيم أحمد وجلال طالباني. والواضح أن التيار الأخير كان متأثراً الى درجة كبيرة بطروحات عبدالناصر القومية العروبوية في القاهرة، وأكرم الحوراني البعثية في دمشق.

لكن عودة رئيس الحزب من منفاه السوفياتي في ١٩٥٨ أسهمت في شكل كبير لا في تغيير واقع الحزب فحسب، بل في إغناء مسارات الحركة القومية الكُردية برمتها. وكان وقف الصراعات الداخلية وإعادة الهوية القومية غير المؤدلجة الى الحزب الديموقراطي، بعد نحو عام من عودته، الدليل الواضح في ذلك الإتجاه.

أما بالنسبة الى إدريس، فإن عودة والده المنفي، أشّرت الى نقطة إنعطاف كبيرة. والواقع أن هذه العودة جعلته، بعد أحداث ثورة عبدالكريم قاسم، أكثر قرباً من نبض الحركة القومية الكُردية. وكان للإستقبال الحافل الذي حظي به والده عند وصوله الى بغداد، والبارزانيون في ميناء البصرة، دور غير قليل في تمكينه من رؤية الصورة الكُردية في تفصيل أوسع بعد سنوات طويلة من النفي والتشريد والحياة الجبلية منذ طفولته.

وما زاد من إتساع رؤيته السياسية أن الحركة القومية الكُردية دخلت بعد تموز ١٩٥٨ مرحلة إزدهار كبير. فالحزب الديموقراطي الكُردستاني الذي أضاف الى حضوره ثقل زعيمه العائد منتصراً من منفاه الاشتراكي، أخذ يشهد إتساعاً كبيراً في قاعدته التنظيمية في أجواء نسبية من الحرية والعلانية. وكان قياديو الحزب المتواجدون في بغداد، خصوصاً شمس الدين مفتي وجلال طالباني وطاهر الشيخ جلال، يزورون عائلة بارزاني ويلتقون أنجاله ويتحادثون معهم ويضعونهم في صورة التطورات السياسية الجارية، خصوصاً ما يتعلق منها بالوضع الكُردي. أما بارزاني فإنه كان على علاقة جيدة مع أفراد عائلته وأنجاله.

في هذه الفترة دخل إدريس معترك السياسة على رغم أنه ظلّ بعيداً عن الحياة الحزبية لإنشغاله بالدراسة. وكان بارزاني الأب حريصاً على أن يواصل أنجاله دراستهم. كما أن ظروف المراقبة الدقيقة التي فرضتها السلطات الأمنية على تحركاتهم شكّلت بدورها سبباً آخر لتجنبه الإنهماك في الحياة الحزبية. لكن مع هذا لم يستطع أن يظل بعيداً. فالعراق كان يمور بالغليان السياسي، بينما تحول منزلهم الى بؤرة للنشاط السياسي والإجتماعات المتتالية بفضل دور والده القيادي أولاً، وإنغماس أخويه، عبيدالله ولقمان (١٩٣٠-١٩٨٠)[١٤٣] في الحياة السياسية ثانياً.

إستطراداً حوّلت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ العراق الى ساحة رئيسية من ساحات القطبية الثنائية بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي في الشرق الأوسط. وكان نزول القوات الأميركية في لبنان بعد الثورة العراقية، وإنشداد عروق إيران الشاهنشاهية خوفاً من إمتداد النفوذ السوفياتي الى حدودها الغربية من خلال قناتي عبدالكريم قاسم والحزب الشيوعي العراقي، إضافة الى تنامي قوة عبدالناصر بعد حرب السويس وتصاعد تحالفه مع موسكو، مؤشرات واضحة الى تعقيدات ذلك الصراع العالمي الذي تركزت إنعكاساته، في ذلك الشطر الزمني، في بغداد كما لم تتركز في أي عاصمة شرق أوسطية أخرى.

وعلى رغم أن هذه الحال، حال ثورة ١٤ تموز، أسهمت في منح الحركة القومية الكُردية دفقاً جديداً من التطور. لكنها، في الوقت نفسه، أدت الى وضع تلك الحركة أمام إختبارات عسيرة لم يخرج منها الكُرد سوى بعد دفع أثمان باهضة من دمائهم، خصوصاً بعد مرور ثلاث سنوات على قيامها.

خضّت شوارع بغداد بعد ١٤ تموز تيارات مؤدلجة عديدة، بدءً بالهتافات والشعارات الشيوعية، الى الطروحات البعثية وخطابات عبدالناصر وبرامج حركة القوميين العرب والحزب القومي السوري. وكان من الطبيعي أن يعكس هذا التلاطم الآيديولوجي جزءً من تأثيراته على الشباب الكُردي الذي بدأ ينخرط في شكل أوسع في الحياة السياسية في ظل الحريات التي وفرّتها تموز.

(١٤٣) أعدمتهما السلطات العراقية في ١٩٨٠.

لكن الملاحظ أن إدريس الذي كان يواصل دراسته في مدارس بغداد، ظل بعيداً عن تلك التيارات، مفضلاً الإستمرار في قراءاته ومتابعاته من جهة، والحفاظ على إرتباطه الوثيق بالنهج السياسي العقلاني والهاديء لوالده في زعامة الحركة القومية الكُردية من جهة أخرى.

مع هذا، كان الوضع الكُردي في شكل خاص، والعراقي في شكل عام، يعيش في تلك الحقبة، مرحلة فوران كبيرة. وكانت الخلافات والصراعات سمة تلك المرحلة التي بدأت فيها الآمال بقيام نظام ديموقراطي على أنقاض الملكية، تتراجع الى الوراء. وقد تمثل جزء رئيسي من هذه الحالة في الخلافات التي دبّت بين الحزب الديموقراطي الكُردستاني وعبدالكريم قاسم اعتباراً من نهاية الخمسينات. وكان الأخير يحاول جهده شقّ الحزب الديموقراطي وإعاقة تطوره والتراجع عن الوعود الدستورية الخاصة بتطبيق حقوق الكُرد[١٤٤]. وكان هذا كلّه مؤشرات الى عزم النظام الجديد على إنتهاج خيار القوة العسكرية لمعالجة المشكلة الكُردية.

في هذه الأثناء أضطر بارزاني، كما سبق القول، الى مغادرة بغداد في أوائل آذار ١٩٦١ والإقامة في قريته بارزان. وكان إدريس بين أفراد عائلته الذين رافقوه.

وعلى رغم أن قاسم لم يدع خياراً آخر لحل المشكلات والخلافات القائمة غير الخيار العسكري، خصوصاً بعد الغارات الجوية التي شنتها طائرات حربية عراقية على عدة مواقع في كُردستان العراق، إلا أن بارزاني لم يغلق الباب أمام الحلول السلمية. ففي الثاني عشر من الشهر نفسه، أي بعد يوم واحد على القصف الجوي الحكومي، أبرق الى قاسم يدعوه الى مفاوضات سلمية[١٤٥].

ليس من المعلوم ما إذا كان زعيم ثورة ١٤ تموز إستلم البرقية أم لا[١٤٦]. لكن الواضح أن الطائرات العراقية شنّت في السادس عشر من أيلول، أي بعد

(١٤٤) ابراهيم أحمد، مقابلة شخصية في لندن في ١٨ كانون الأول ١٩٩٠.
(١٤٥) مفتي، المقابلة نفسها.
(١٤٦) مفتي، المقابلة أعلاه.

أربعة أيام من البرقية، غارة جوية شديدة ضد قرية بارزان. لهذا أضطر بارزاني الى الإلتجاء للخيار العسكري، وقام من أجل الإعداد لذلك بجولة شملت منطقة بهدينان.

حين غادر والده المنطقة في جولته المشهورة بين العشائر الكُردية، ظلّ إدريس في منطقة بارزان. وكان أفراد عائلته يعيشون في أحد الكهوف القريبة من القرية[١٤٧]. وفي هذا المقطع الزمني تولى، وهو لايزال في السابعة عشر من عمره، الإشراف على إدارة المنطقة الى مطلع عام ١٩٦٤ أما شقيقه الأصغر، مسعود، فقد كان إلتحق بالإنتفاضة في العشرين من مايس ١٩٦٢.

بعد إلتحاقه الرسمي بالإنتفاضة، أصبح إدريس يعمل اعتباراً من عام ١٩٦٥ مساعداً لوالده في الشؤون العسكرية والإجتماعية[١٤٨]. وكان قبل ذلك بعام تزوج من كريمة إحدى الأسر الكُردية العريقة في السليمانية.

والواقع أن الحركة الكُردية مرّت في تلك الفترة بصعوبات جمة. فمن جهة، أخلّت الحكومة العراقية بالهدنة التي عقدتها مع بارزاني في العاشر من شباط من عام ١٩٦٤، وعاد الجيش العراقي الى شن هجوم كبير على كُردستان في الرابع من آذار عام ١٩٦٥. كما أن إنشقاقاً خطيراً حدث في صفوف الحزب الديموقراطي الكُردستاني بعد إصدار جناح في المكتب السياسي تزعمه إبراهيم أحمد بياناً دان فيه هدنة شباط.

بدأ إدريس، وشقيقه مسعود، حياتهما الجديدة داخل الحركة الكُردية بتولي مسؤولية المكتب الخاص لوالدهما. هذا المكتب أصبح يعرف بين الكُرد منذ ذلك الوقت بـ(بارگاي بارزاني) أي مقر بارزاني، وكان المكتب يختص في أول إنشائه بتسيير مراجعات المواطنين والمقاتلين والإشراف على الأمور الإدارية للحركة الكُردية.

وبعد أقل من عام بدأ إدريس بالإنخراط المباشر في القيادة العسكرية. وكانت الحركة القومية الكُردية تواجه مخاطر جديدة نتيجة إزدياد سطوة مؤسسة الجيش على السياسة العراقية في بغداد، خصوصاً بعد تولي العقيد

(١٤٧) مسعود بارزاني، المقابلة نفسها.
(١٤٨) مسعود بارزاني، المقابلة أعلاه.

القومي العربي، عبدالعزيز العقيلي حقيبة وزارة الدفاع في حكومة رئيس الوزراء العسكري ناجي طالب.

في هذه الفترة قام بجولة عسكرية تفقد خلالها القوات الكُردية في مناطق سهل أربيل وأطراف شقلاوة ومنطقة زرارَتي في شمال غربي أربيل. وكانت هذه الجولة بداية إنطلاقته في العمل العسكري لإنتفاضة أيلول[١٤٩].

وفي مايس ١٩٦٦ تولى إدريس الإشراف على المكتب العسكري للحزب الديموقراطي الكُردستاني، وقاد إحدى أهم المعارك في تاريخ الحركة الكُردية المعاصرة (معركة هندرين) بشجاعة نادرة.

والواقع أن الصحافي الفرنسي رينيه موريس الذي كان في كُردستان العراق وقت إندلاع المعركة، أكد أن إدريس قاد معركة هندرين من كهف جبلي قريب من جبهة القتال[١٥٠].

معركة هندرين

إستقرت قيادة الحركة الكُردية في ربيع عام ١٩٦٤ في وادي بالَكايَتي[١٥١] على طول طريق هاملتون[١٥٢] وإتخذته مقراً ثابتاً ودائماً لنشاطاتها. وكان هذا الإستقرار في حد ذاته إشارة الى التطور الحاصل في الهيكل العسكري والتنظيمي والسياسي للحركة بعد نجاحها في إخراج مساحات غير قليلة من الأراضي الجبلية في كُردستان من قبضة القوات العراقية.

(١٤٩) عيسى، محمد: مقابلته في صحيفة برايەتى الصادرة في أربيل، العدد ٢٢٦٦ في ٣٠ كانون الثاني ١٩٩٧ .

(١٥٠) رينيه، موريس: المصدر نفسه.

(١٥١) وادي بالكايتي أحد وديان سلسلة جبال زاگروس، يبدأ عنقه الغربي من حوض رواندوز لينتهي شرقاً في حاج عمران في أقصى الحدود العراقية الإيرانية.

(١٥٢) الطريق الرئيسي الذي يبدأ من أربيل مخترقاً حوض رواندوز ووادي بالكايتي، ليصل في نهايته الى الحدود الإيرانية في نقطة (شينوك) شمال شرقي حاجي عمران. إسم الطريق هو إسم المهندس البريطاني الذي شقّه في عام ١٩٢٦: أرشيبالد ماين هاملتون.

والحقيقة أن الأهمية الاستراتيجية لهذه الرقعة الجغرافية تجسدت في نقاط أساسية:

الأولى: إنها تشكل جسراً برّياً بين منطقتي سوران (أربيل والسليمانية وكركوك) وبهدينان (دهوك وزاخو وعقرة)، ولايمكن للإنتفاضة المسلحة التي تعتمد في أساليبها الحربية على تضاريس الأرض، أن تتواصل في شكل متناغم إذا فرضت القوات العراقية سيطرتها على هذا الجسر البرّي.

الثانية: إنها تشكّل بوابة طبيعية ملائمة للحصول على المؤن والأغذية، وفي ما بعد، على الأسلحة والمساعدات العسكرية من إيران. واللافت أن السلطات العراقية فرضت منذ السنوات الأولى حصاراً إقتصادياً على المناطق الكُردية التي نشط فيها مقاتلون كُرد.

والثالثة: إنها تشكل منطقة وعرة من ناحية تضاريسها الجبلية، ما يجعل من أمر السيطرة عليها من قبل القوات العراقية إحتمالاً بعيداً. وهذا بالطبع يمنح القيادة الكُردية فرصة أوسع للتخطيط والنشاط والإتصالات.

بعد أن إتخذت الحركة الكُردية بالَكايَتي مقراً لمركزها القيادي، إنتبهت بغداد الى الأهمية العسكرية لهذا الوادي الجبلي. وكان بارزاني نجح في طرد القوات العسكرية العراقية منها منذ عام ١٩٦٢.

لهذا قررت المؤسسة العسكرية العراقية شن هجوم كبير على الوادي بهدف السيطرة عليه. وكانت الحكومة العراقية في ظلِّ النفوذ القويّ للجيش، تعتقد أن الإنشقاق الحاصل في صفوف الحزب الديموقراطي الكُردستاني قد أضعف سيطرة بارزاني على مقاليد الإنتفاضة، وجعل من أمر القضاء عليها عملية سهلة.

حشّدت الحكومة العراقية لهجومها المرتقب أكثر من فرقتين جبليتين وعدّة ألوية من قواتها الخاصة وكتائب مدفعية ثقيلة في منطقتي رواندوز وديانا اللتين تقعان في العنق الجنوبي للوادي، إضافة الى طائرات حربية. وكان جبل هندرين الواقع على الجانب الأيمن لطريق هاملتون، مقابل رواندوز وديانا، عقدة

رئيسية يمكن للسيطرة عليه أن تسهل توغل القوات العراقية في بقية أجزاء وادي بالَكايَتي صعوداً الى الحدود الإيرانية.

وفي مقابل الحشد العراقي، جمعت الحركة الكُردية نصف قواتها (حوالي ألفي مقاتل) في المنطقة. وتولى إدريس، بأمر من بارزاني والمكتب السياسي للحزب، القيادة الميدانية لمواجهة القوات العراقية، ساعده في ذلك قائد ميداني آخر هو (فاخر ميرگەسوري). هنا، يشير (عزت سليمان بك)، وهو أحد القادة الميدانيين الذين شاركوا في قيادة معركة هندرين أنه لايزال يملك الخطة العسكرية التي وضعها إدريس لصفحات المعركة باللغة العربية[١٥٣].

قبل بدء المعارك في ١٢ مايس ١٩٦٦، حرص إدريس، بعد مشاورة والده وقيادة الحزب الديموقراطي الكُردستاني، على إشراك مقاتلي الحزب الشيوعي العراقي في المعركة الى جانب مقاتلي حزبه. وكان الشيوعيون صعدوا الى الجبال بعد أن لاحقتهم سلطات إنقلاب ٨ شباط في ١٩٦٣. لكن فرصة مشاركة فاعلة في عملية المقاومة العسكرية لم تتح لهم إلا في معركة هندرين. والأرجح أن الهدف الرئيسي من إشراك الشيوعيين كان قطع الطريق على مزاعم حكومية بتعاون الحركة الكُردية مع إيران من جهة، وتأكيد الطابع التعددي للإنتفاضة من جهة ثانية، وتحريك السوڤيات في إتجاه دعم حركة المقاومة الكُردية من جهة ثالثة. وكانت موسكو تعيش في تلك الفترة صراعاً ملحوظاً مع الحكومة العراقية على رغم تتطلعها الى إقامة تحالف معها عن طريق العلاقات المميزة التي ربطت بغداد، في زمن عبدالسلام محمد عارف، بالقاهرة الناصرية.

والواقع أن إدريس تميز بعلاقاته الطيبة مع الشيوعيين. وكان بارزاني الأب فتح أبواب الحركة الكُردية أمام مشاركة الشيوعيين وإستقبلهم بحرارة وروح عالية من التسامح على رغم أن بعض أعضاء مكتبه السياسي أصدروا بياناً ضدهم في ١٩٦٣. في هذا الخصوص يروي كريم أحمد عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي، سكرتير الحزب الشيوعي الكُردستاني حالياً، وهو

(١٥٣) سليمان بك، عزت: صحيفة (برايەتى) اليومية الناطقة بإسم الحزب الديموقراطي الكُردستاني، أربيل، كُردستان، العدد ٢٢٦٦ الصادر في ٣١ كانون الثاني ١٩٩٧.

من أوائل القادة الشيوعيين العراقيين الذين إلتقوا بارزاني بعد إنقلاب ٨ شباط، يروي أن الزعيم الكُردي أثبت عن طريق استقباله للشيوعيين وترحيبه بمشاركتهم في الحركة الكُردية، أمانته كزعيم مسؤول عن شعب بأكمله[١٥٤].

إعتقد إدريس أن معركة هندرين تمثل محطة سياسية كبيرة يتوقف على نتائجها حسم عدد من الأهداف السياسية التي عملت من أجلها الحركة الكُردية، خصوصاً ما يتعلق منها بطبيعة الحكم القائم في بغداد. ففي حال حصول هزيمة عسكرية كُردية في معركة هندرين، فإن الجيش العراقي الذي أخذ يعزز من مواقع أقدامه في المؤسسة السياسية، لن يتردد في تفتيت الشعب الكُردي وإقفال الباب كلياً أمام أي حل سلمي لمشكلته القومية في العراق. أما في حال الإنتصار في المعركة، فإن نفوذ الجيش داخل المؤسسة السياسية في بغداد سيواجه ضربة كبيرة، ما يفتح الباب واسعاً لا أمام الحلول السلمية للمشكلة الكُردية فحسب، بل أمام إنفتاح ديموقراطي داخل العراق نفسه.

لهذا أصدر إدريس أوامره الى القادة الميدانيين بضرورة حسم المعركة لمصلحة الحركة الكُردية. وبالفعل إنتهت معركة هندرين الى إنتصار عسكري كُردي كاسح جنى منه الكُرد ثماراً سياسية ملموسة، بينما أصيب الجيش العراقي بأشنع هزيمة في تاريخه حتى ذلك الوقت[١٥٥].

والواقع أن حدس إدريس كان صائباً. إذ ما أن وضعت المعركة أوزارها بإنتصار الطرف الكُردي حتى بادرت الحكومة العراقية الى الإتصال ببارزاني داعية إياه الى وقف القتال والدخول في محادثات سياسية. ثم لم تمض فترة طويلة حتى تراجع دور الجيش في المؤسسة السياسية العراقية في شكل لافت، خصوصاً بعد أن تولت الشخصية السياسية المدنية الدكتور عبدالرحمن البزاز رئاسة الوزراء في بغداد.

ويصف الصحافي الفرنسي رينيه موروبيس الذي كان موجوداً في كُردستان العراق في وقت المعركة، يصف إدريس بأنه أثبت جدارة فائقة في إدارة صراع عسكري واسع ومتعدد الصفحات مع الآلة الحربية العراقية، مضيفاً أنه كان

(١٥٤) أحمد، كريم: مؤتمر الذكرى التسعين... صفحة ١١٣.
(١٥٥) رينيه، موروبيس، المصدر نفسه، صفحة ١٠٥.

شاباً حاد الذكاء، حصيفاً، يتسع أفقه للمفاهيم الحديثة، وأن الجميع لهجوا بذكائه وشجاعته ورجاحة عقله على رغم سنه المبكرة. الى ذلك، زاد الصحافي الفرنسي أن إدريس كان يخطط ويقود المعركة من كهف في أحشاء الجبل على ضفة النهر في قرية واركون ما بين جبلي هندرين وزوزك[١٥٦].

بعد فترة قصيرة زار الرئيس العراقي الجديد عبدالرحمن محمد عارف بارزاني في معاقله الجبلية في وادي بالَكايَتي، وإتفق معه على ضرورة إيجاد حل سلمي للمشكلة الكُردية. ثم أعلن رئيس وزرائه الدكتور البزاز، بعد مباحثات سياسية أجراها مع ممثلي الحركة الكُردية، بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦ الذي مهّد، في فترة لاحقة، لإنفراج سياسي ولو ضيّق. وكان صدور صحيفة التآخي لسان حال الحزب الديموقراطي الكُردستاني في بغداد اعتباراً من ٢٧ نيسان ١٩٦٧ أحد سمات هذا الإنفراج السياسي.

كانت الفترة بين عامي ١٩٦٦– ١٩٧٠ بمثابة مدرسة سياسية كبيرة لإدريس تعلم خلالها من والده، كما تعلم من مقاتليه ومساعديه وقادة الحزب الديموقراطي الكُردستاني. الى ذلك، كانت الفترة بالنسبة اليه مرحلة متابعة فكرية وسياسية غنية.

ويروي عنه رينيه موربيس أن جهاز الراديو لم يفارقه في جبهة القتال في هندرين وكان حريصاً على الإستماع ومتابعة الأخبار على رغم القصف الجوي والمدفعي المستمر.

في الوقت ذاته، كان هذا الشطر الزمني بمثابة مدرسة عسكرية كبيرة له. فإضافة الى معركة هندرين، قام في ١٩٦٩ بجولة في سهل أربيل وشقلاوة، وأشرف على معارك دفاعية ناجحة في هذه المناطق. كذلك أشرف في العام ذاته على عملية كبيرة لتفجير حقل كركوك النفطي. وكان القائد الميداني لهذه العملية سامي عبدالرحمن، نائب رئيس حكومة اقليم كُردستان العراق حالياً. وقد أدت العملية الى وقف تصدير النفط من حقول كركوك مدة غير قصيرة.

ويروي مثقفون وأدباء كُرد كانوا في صفوف الثورة عن إدريس حرصه على الجلوس معهم ومناقشتهم في أمور أدبية وثقافية عامة. وهو، الى ذلك، كان

(١٥٦) رينيه موربيس: المصدر نفسه.

يشجع على التعلّم والدراسة، حيث حرص خلال سنوات إنتفاضة أيلول على فتح مجموعة مدارس ابتدائية في القرى المحررة. كما أنه حثَّ على الإهتمام بالأكاديميين واساتذة الجامعات والأطباء والمهندسين. والواقع أن موقفه المشجع على إستمرار الطلاب في دراستهم الجامعية، كان وراء إصراره على فتح جامعة كُردية في المناطق المحررة. والواقع أن القيادة الكُردية أنشأت جامعة بديلة لطلاب جامعة السليمانية في قصبة قلعة دزه عام ١٩٧٤. لكن الطائرات العراقية قصفت الجامعة في ٢٤ نيسان من العام نفسه، ما أدى الى مقتل نحو ١٣٠ طالباً وجرح نحو مائتين آخرين.

ويروي المؤرخ الكُردي الآثوري جرجيس فتح الله أنه عرف إدريس بعد إلتحاقه بالإنتفاضة ومجالسته عدة مرات. ويشير عند حديثه عنه الى أنه تيقن بأن إدريس أكبر عقلاً وذكاءً من سنّه بكثير، وأن الأوضاع غير الاعتيادية التي مرّت بها عائلته لم تؤثر على إستعداده وإستعداد شقيقه مسعود على التعلم والدراسة، بل شحذت فيهما قدراتهما العقلية، مضيفاً أن ما يثبت ذلك أنهما كانا متفوقين في أية مدرسة يدخلانها على البقية من أقرانهما، وكانا الأوائل بين الطلبة مع أنهما درسا في الموصل وبغداد والبصرة حيث لغة الدراسة ليست لغتهما الأم[١٥٧].

الى مشاغله السياسية والعسكرية، حرص إدريس على التواصل مع المقاتلين والفلاحين في مناطق الإنتفاضة ومقابلتهم والإستماع الى مشاكلهم ومحاولة حلّها. وفي هذا الخصوص يتفق الدكتور محمود عثمان وشمس الدين مفتي وفرنسو حريري وآخرون ممن كانوا قريبين منه على أن إدريس كان شغوفاً بحل مشاكل الناس وتلبية مطالبهم. كما أنه كان في أداء مهامه بمثابة كتلة نابضة من الطاقة والنشاط والحيوية. والأرجح أن هذه الصفات هي التي أدت بوالده الى وضعه على رأس مكتبه الخاص، إضافة الى تقدمه اللاحق في المراتب الحزبية والقيادية بعد معركة هندرين.

(١٥٧) مقابلة مع جرجيس فتح الله، أجراها بدران أحمد حبيب في ١٢ نيسان ٢٠٠١ في صلاح الدين بكُردستان العراق.

آذار ١٩٧٥: محطة سياسية رئيسة

في الفترة بين عامي ١٩٦٦- ١٩٧٠ أثبت إدريس مقدرته كقائد عسكري ميداني بارز. لكن مقدرته السياسية بدأت تتجلى في شكل أوضح في أواخر عام ١٩٦٩، حين نشط في شكل رئيسي في المحادثات التي جرت مع الحكومة العراقية في الأشهر التي سبقت إعلان إتفاقية آذار ١٩٧٠.

إستطراداً، جاء إقتراح البدء في المفاوضات السياسية من جانب الحكومة العراقية، وذلك في الربع الأخير من عام ١٩٦٩. ويؤكد الدكتور محمود عثمان، الذي شغل في المفاوضات حقيبة رئاسة الوفد الكُردي، أن الإتصال الأول جاء حين إلتقى مرتضى عبدالباقي[١٥٨] العضو السابق للقيادة القطرية لحزب البعث، المقرب من صدام حسين آنذاك، بالكادر الطلابي الكُردي عبدالقادر محمدأمين[١٥٩] عضو مكتب سكرتارية إتحاد طلبة كُردستان العراق آنذاك. وكان عبدالباقي يدرس في كلية الحقوق الى جانب وظيفته الحكومية، بينما كان عبدالقادر يدرس في كلية الآداب، قسم اللغة والآداب الكُردية.

إلتقى عبدالباقي بمحمدأمين وقدّم له ورقة غير رسمية موجهة الى بارزاني تضمنت مجموعة رؤوس أقلام، مضيفاً أن الحكومة العراقية إقتنعت بخطل الخيار العسكري في حل المشكلة الكُردية، وأنها مستعدة لإجراء مفاوضات سياسية مع الحزب الديموقراطي الكُردستاني للتوصل الى حل سلمي.

والواقع أن القوات العسكرية العراقية، عاشت في تلك الفترة ظروفاً سيئة نتيجة أمرين: الأول الهزائم التي واجهها الجيش في جبهات القتال مع المقاتلين. والثاني بدء السلطات العراقية بعملية تبعيث الجيش العراقي وهيئاته القيادية، ما أدى الى نشوء شكل من أشكال الفوضى في أوساطه.

الى ذلك، واجهت الحكومة البعثية الجديدة محاولة إنقلابية في كانون الثاني

(١٥٨)أعدمته السلطات العراقية في ١٩٧٩ مع مجموعة أخرى من القياديين البعثيين بتهمة التآمر.

(١٥٩) يقيم منذ ١٩٧٥ في الولايات المتحدة ويرأس تحرير مطبوعة كُردية شهرية بإسم بارزان.

١٩٧٠، شارك فيها عدد كبير من الضباط أعدمت السلطات البعثية سبعين منهم.

هذه الأسباب دعت بالرجل القوي في القيادة العراقية، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، آنذاك، صدام حسين، الى إعتقاد مفاده أن بغداد ليس في إمكانها القضاء العسكري على الحركة الكُردية بإمكانياتها العسكرية والمالية والإقتصادية في تلك الفترة، إنما يجب، في الخطوة الأولى، إحتواءها من الناحية السياسية، وذلك عن طريق تلبية بعض مطالبها[١٦٠] إنتظاراً لفرصة مناسبة في المستقبل.

الى ذلك كان النظام البعثي لايزال جديداً على حكمه في الجولة الثانية. كما أنه كان يعاني مشكلات لا أقلها عدم الإستقرار الداخلي، إن في أروقة الحزب الحاكم أو في أروقة الحكومة. وكان الإنقلاب العسكري الذي حدث في كانون الأول ١٩٦٩ دليلاً على ذلك الحال. هذا طبعاً إضافة الى خلافاته مع إيران وشعاراته اليسارية التي بدأت تشير الى إبتعاده مجدداً عن المحور الأميركي البريطاني لصالح التحالف مع الإتحاد السوفياتي.

لهذا كلّه، تصور صدام حسين أن الدخول في محادثات سياسية مع الكُرد والإتفاق معهم، قد يمهد الطريق أمامه للتخلص من مشكلاته الداخلية أولاً، والإستمرار في الحكم ثانياً وتهيئة الأجواء أمام القضاء على المشكلة الكُردية عن طريق الآلة الحربية التي يوفرها له الإتحاد السوفياتي.

والحقيقة أن جهود مرتضى عبدالباقي لم تكن المحاولة الوحيدة في إتجاه بدء التفاوض. إنما إتصل ضابط كبير إسمه العقيد الركن طارق إبراهيم وكان يعمل آمراً للواء عسكري في قصبة رواندوز، بالقيادة الكُردية ناقلاً رسالة شفهية من القيادة العراقية الى بارزاني مفادها الإستعداد لإجراء مفاوضات سياسية. ويضيف الدكتور محمود أنه في هذا الوقت بالذات، دخل السوفيات على الخط وقدموا من خلال مراسل صحيفة پراڤدا في الشرق الأوسط، آنذاك، المستشرق، رئيس الوزراء الروسي في ما بعد، يفگيني پريماكوف، مشورة الى بغداد مؤداها أهمية الإتفاق مع بارزاني بالنسبة الى ترتيب البيت الداخلي

(١٦٠) الدكتور محمود عثمان. المقابلة نفسها.

العراقي. وكان بريماكوف في تلك الفترة أحد أهم ضباط الإستخبارات السوفياتية في الشرق الأوسط.

تلقفت بغداد موافقة القيادة الكُردية على إجراء المفاوضات بسرعة كبيرة. والواقع أن المفاوضات لم تكن توفر الحلول لمشاكل بغداد السياسية فحسب، بل كانت تهيء أيضاً حلولاً أخرى لمشاكل الكُرد الداخلية والإقليمية، ومنها صراعاتهم الداخلية. وهي الى ذلك كانت تؤشر، بالنسبة اليهم، الى إمكان إستثمار ضعف السلطة العراقية في إتجاه الحصول على إعتراف رسمي بحقوقهم القومية والسياسية في العراق.

لم تنتظر القيادة الكُردية طويلاً في تهيئة ردها المرحب بالخطوة العراقية. وبعد الترحيب الكُردي بفترة قصيرة، وصل أول وفد عراقي الى (ناوپردان) في وادي بالَكايَتي على طريق هاملتون الاستراتيجي، حيث مقر المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكُردستاني. وبعد ثلاثة أيام من زيارة الوفد توجه وفد كُردي الى بغداد لإستكمال مباحثات ناوپردان[١٦١].

إضطلع إدريس، مع شقيقه مسعود، بدور أساسي في مباحثات الوفد الكُردي في بغداد. وسافرا الى العاصمة العراقية ضمن الوفد في مراحل أساسية من المفاوضات، آخرها الزيارة التي أسفرت عن إعلان الرئيس العراقي الراحل أحمد حسن البكر إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ في حشد جماهيري واسع في ساحة التحرير في بغداد. ويؤكد جرجيس فتح الله أن بارزاني إعتمد في

(١٦١) قال الدكتور محمود في مقابلته مع كاتب هذه السطور إن الوفد الكُردي تألف من نوري شاويس (توفي في ١٩٨٧) ودارا توفيق (أعتقل في ١٩٨٠ وأعدم لاحقاً). سامي عبدالرحمن (عضو المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكُردستاني، نائب رئيس حكومة إقليم كُردستان العراق في الوقت الحالي)، ومحسن دزهيي (الممثل الشخصي للرئيس مسعود بارزاني في الوقت الحاضر)، نافذ جلال (توفي في حادث سيارة في ١٩٧٣)، صالح اليوسفي (عضو المكتب السياسي للحزب الديموقراطي الكُردستاني الى عام ١٩٧٥ والسكرتير العام للحزب الاشتراكي الكُردستاني منذ عام ١٩٧٧ الى إغتياله في بغداد على يد السلطات العراقية في ١٩٨٣)، ورئيس الوفد الدكتور محمود عثمان.
أما صحيفة (برايەتى) فتضيف في عددها ٢٢٦٦ الصادر في ٣١ كانون الثاني ١٩٩٧ أن إدريس ومسعود كانا بالفعل ضمن الوفد الكُردي.

هذه المفاوضات على ذكاء إدريس وفطنته وقابليته الديبلوماسية الكبيرة[١٦٢].

لم يكن إدريس عضواً في اللجنة المركزية للحزب الديموقراطي الكُردستاني الى بداية السبعينات. لكن المؤتمر الثامن الذي عقده الحزب في ناوپردان بعد إعلان الإتفاقية الكُردية-العراقية في ١٩٧٠ إنتخبه، وشقيقه مسعود، الى عضوية اللجنة المركزية. وأكد الدكتور محمود وشمس الدين مفتي في المقابلتين المنفردتين معهما أن وصول إدريس ومسعود الى قيادة الحزب لم يكن بسبب كونهما نجلين لبارزاني، بل بسبب نشاطهما ودأبهما وأهليتهما الكاملة. أما الدكتور محمود فقد أضاف أنه كان من أشد المتحمسين لإنتخابهما في المؤتمر الثامن لأن حزب البعث الحاكم إشترط إجراء المفاوضات مع الحزب الديموقراطي الكُردستاني وليس مع ثورة أيلول الكُردية. وكان من شأن هذا الأمر أن يضع قيادة الحزب الديموقراطي أمام حاجة مفادها ضرورة رفد القيادة الحزبية بعناصر شابة وذكية مثل نجلي بارزاني.

تولى إدريس بعد وصوله الى اللجنة المركزية مسؤولية الإشراف على المكتب العسكري للحزب، إضافة الى إشرافه على الشؤون الإدارية والمالية. وفي مراحل لاحقة أصبح مشرفاً على العلاقات الدولية والإقليمية بعد أن أنيطت مسؤولياته الإدارية والمالية الى أعضاء آخرين في اللجنة المركزية. والواقع أن نجاحه اللافت في المهمتين سرعان ما دفع بالقيادة الحزبية الى ضمّه الى المكتب السياسي في ١٩٧١.

بعد إعلان إتفاقية ١١ آذار، إقترحت الحكومة العراقية على القيادة الكُردية، تعيينه نائباً لرئيس الجمهورية، مع وعد بمنحه صلاحيات كبيرة لايتمتع بها مسؤولون عراقيون آخرون. لكن القيادة الكُردية رفضت الإقتراح ورشحت من جانبها السكرتير العام للحزب الديموقراطي الكُردستاني حبيب محمد كريم لشغل المنصب[١٦٣]. والأرجح أن سبب رفض بارزاني إقتراح بغداد إتصل بعدم ثقته بالنظام العراقي. والأرجح أيضاً أن الزعيم الكُردي كان محقاً في عدم ثقته بالبعثيين، إذ ما أن إنقضت أشهر عدة على هذا الإقتراح، حتى

(١٦٢) جرجيس فتح الله، المقابلة نفسها.
(١٦٣) الدكتور محمود عثمان، المقابلة نفسها.

بادرت السلطات العراقية عن طريق بعض عملائها الى تنظيم محاولة لإغتيال إدريس في بغداد.

والواقع، أن الفترة بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧٤ كانت إحدى أخصب الفترات، وأعقدها في الوقت نفسه، في تاريخ الحركة القومية الكُردية المعاصرة في العراق. ففي ذلك الوقت إستطاع الكُرد في ظل إتفاقية ١١ آذار تنظيم إدارة ذاتية ناجحة على جزء كبير من كُردستان العراق. وفي هذه الأثناء أيضاً إنتعشت حركة ثقافية وأدبية وفنية واسعة بينهم، خصوصاً بعد إنشاء مؤسسات كُردية كالمجمع العلمي الكُردي والمديرية العامة للدراسات الكُردية وإتحاد الأدباء الكُرد، إضافة الى العديد من الفرق والجمعيات الفنية.

الى ذلك أصبحت الحركة القومية الكُردية تمتلك جيشاً من المقاتلين، في إطار حرّاس الحدود، فاق عدد أفراده خمسة وعشرين ألف مقاتل. كما توسعت تنظيمات الحزب الديموقراطي الكُردستاني في كل المدن الكُردية وبغداد وبقية المدن العراقية التي سكنها الكُرد. وأصبح العالم عن طريق الآفاق السياسية والإعلامية الجديدة التي إنفتحت أمام الحركة القومية الكُردية على دراية أوسع بطبيعة هذه الحركة وأهدافها ومطالبها. والحقيقة أن دور إدريس كان بارزاً في كل هذه المجالات. بل إنه كثيراً ما كان يوصي المسؤولين الكُرد في أجهزة الحكومة العراقية بضرورة الإبتعاد عن المغريات والإمتيازات التي يهيئها وجود مسؤولين حزبيين في مواقع السلطة.

لكن المشكلة التي عكست مزيداً من التعقيدات على النسيج السياسي العام، أن الحكومة العراقية أخذت في تلك الفترة تخلق عراقيل ومعوقات إضافية أمام تطبيق إتفاقية آذار. وكان لقرارها تأميم العمليات النفطية في العراق وتزايد عائداتها المالية جراء ذلك في ١٩٧٢، دور كبير في تراجعها عن الوعود المقطوعة للكُرد في إطار الإتفاقية.

واللافت أن السلطات العراقية لم تتوقف في ذلك المقطع الزمني عند حدّ تهجير السكان الكُرد من مناطق غنية بالموارد الإقتصادية فحسب، إنما بدأت منذ عام ١٩٧٣ بتنفيذ حملة واسعة من سياسة التبعيث، أي إجبار السكان الكُرد، خصوصاً في المدن الكبيرة على الإنتماء للحزب الحاكم. كما انها بدأت

بإستخدام الوحدات العسكرية في تعريب مناطقهم أو تطويق القرى وملاحقة سكانها وطردهم من ديارهم.

في الوقت ذاته، إستخدمت الحكومة العراقية طائراتها الحربية في قصف منطقة بارزان في ١٩٧٢. وكانت بدأت منذ ١٩٧١ بحملة تهجير واسعة للعوائل الكُردية الفيلية المقيمة في بغداد الى الأراضي الإيرانية بتهمة تبعيتهم لإيران(١٦٤). وتشير تقديرات المراكز الثقافية الفيلية في أوروبا الى أن الوجبة الأولى من المهجرين بلغت أكثر من مئة ألف شخص(١٦٥).

في العام نفسه، أنشأت السلطات العراقية لجنة حكومية في مدينة كركوك سمّتها (لجنة إستقبال الوافدين) وذلك كمقدمة لمرحلة جديدة من تعريب المدينة وإسكان العوائل العربية فيها. في هذا الخصوص، بدأت الحكومة أولى خطواتها بإنشاء ثلاثة أحياء سكنية للعوائل العربية الوافدة الى كركوك هي أحياء المثنى والكرامة و٧ نيسان. واللافت أن هذه اللجنة إشترطت أن تنقل العوائل العربية تسجيلات أحوالها الشخصية في الإحصاء السكاني لعام ١٩٥٧ من مناطقها الأصلية الى كركوك(١٦٦).

الى ذلك، دمرت السلطات العراقية نحو ثلاث وعشرين قرية كُردية في أطراف قصبة سنجار(١٦٧). وصعّدت من عمليات قتل الأهلين الكُرد في قصبة خانقين في عام ١٩٧٢، ما دعا بهؤلاء الى إعلان إضراب عام تركوا على أثره المدينة الى الجبال والقرى المحيطة(١٦٨).

هذه التصرفات السياسية والعسكرية العراقية، والإستفزازات المتكررة، ولّدت لدى الكُرد إنطباعاً منذ نهاية عام ١٩٧١ مفاده أن بغداد غير عازمة

(١٦٤) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، حزيران ١٩٨٢ كانون الثاني ١٩٨٣، صفحة ٥١.

(١٦٥) نداء الكرد، صحيفة دورية عامة مستقلة تعبر عن لسان حال الكُرد الفيليين، تصدر في لندن، العدد الأول، شباط ٢٠٠١. مقالة في الصفحة الخامسة من الصحيفة بقلم عبدالمجيد عبدالحميد زنكنه.

(١٦٦) الدكتور اسماعيل، خليل، في مقابلة تلفزيونية مع قناة كُردستان الفضائية في ليلة ٢١ آذار. ٢٠٠١.

(١٦٧) On the Kurdish Question... bid, p82.

(١٦٨) الدكتور فؤاد حسين، محادثة تلفونية في ٢٧ آذار ٢٠٠١ .